محاضرة6: هجمات التتار والمغول وسقوط بغداد1258م

1/ التعريف بالتتار والمغول:

هم مجموعة من الشعوب الناطقة بالتركية ويتصفون بحبهم للسلب والنهب وتعرف ديانتهم باسم"الشمامانية"؛ وقد عاشوا في غرب ووسط آسيا، وكان الظهور الأول لهم كقبائل متنقلة، ثمّ استقروا في شمال شرق منغوليا، وقد بنى قائدهم جنكيزخان امبراطورية عام1206م امتدت من بلاد الصين شرقا إلى بحر قزوين غربا؛ واعتبرت من القبائل التي دمرت العالم الإسلامي، حيث بدأت غاراتهم عليه عام1219م، لتتوج بسقوط عاصمة خلافة العباسيين بغداد على أيديهم سنة1258م

2/ أسباب الغزو المغولي لبلاد المسلمين:

لقد تعددت أسباب الغزو الماغولي على العالم الإسلامي وكان من جملتها الأسباب الاقتصادية والسياسية والعسكرية مثل:

*حالة القحط والتصحر في إقليم آسيا الشرقية فكان المغول بحاجة إلى توفير الطعام والمؤن لسد حاجاتهم الغذائية فبدأو بالبحث عن مناطق نفوذ لتوفيرها، وكانت بلاد المشرق الإسلامي أحد المجالات الجغرافية التي لفتت انتباههم لغناها بالثروات والموارد الطبيعية التي كانوا يفتقدونها.

*ومن الأمور التي حركت نزعة الاستعمار لديهم أيضا هو عدم تعاون السلطان علاء الدين خوارزم شاه مع المغول ومنعهم من التجارة في بلاده، ثم تعرضه بالأذية لأحد تجارهم وهو ما كان له تبعات خطيرة على تأزم الوضع وتأجيج حميتهم للهجوم على العرب.

* تنامي الحماسة القومية عند المغول بفضل انتصاراتهم المتتالية التي حققوها في الصين وغيرها ممازاد في طموحهم للسيطرة على المناطق المحاذية لبلادهم وبخاصة الاستلاء على الدولة الخوارزمية الكبيرة بإمكاناتها وثرائها، وضعف سلطة حكامها

*استغلال حادثة مقتل التجار المغول داخل أراضي الدولة الخوارزمية للقيام بالهجوم، حيث طلب من السلطان محمد بن خوارزم شاه تسليم المتسببين في ذلك لمحاكمتهم وفق قوانينهم ورفض السلطان ذلك.

3/هجمات التتار والمغول وسقوط بغداد:

- كان لدخول المغول واجتياحهم لمدينة بغداد حاضرة الدولة العباسية تخطيط وتحضير مسبق، حيث بدأ في تجسيده قائدهم يوم9صفر656هـ/14فيفري1258م بتكليف من الخاقان الأكبر"منكوخان" الذي طلب من أخيه هولاكو استكمال عمليات توسع المغول في جنوب غرب آسيا والتي كان قد بدأها جدهم"جنكيز خان"، حيث تمكن جيش هولاكو من اقتحام بغداد بعد أن أحكم الحصار عليها مدة 12يوم.

– ثمّ تحرك هولاكو بالجيش وبصحبته أمراء المغول وبعض القادة والحكام من إيران وأرسل للخليفة المستعصم يأمره بأن يأتيه؛ فكان رده عليه بالمماطلة والتجاهل ثم حين أحس باشتداد خطرهم حاول استرضائه ومهادنته وأرسل إليه وفدا يفاوضه، لكن هولاكو رفض ذلك وقرر مواصلة السير.

– بدأ المغول في قصف مدينة بغداد بالمنجنيق على جهة البرج العجمي ونجحوا في إحداث ثغرة فيه فلما أدرك الخليفة بمدى ذلك الخطر سعى في التواصل معم إلى حل سلمي وأرسل لهلاكو وزيره وصاحب الديوان وبضعة شخصيات محملين بالهدايا لكن هذا الأخير رد بالرفض وقرر مواصلة الهجوم.

– وقد قام هولاكو بمراسلة إلى الخليفة العباسي يخيره فيها بين الخروج من المدينة أو البقاء داخلها؛ وضرب على إثر ذلك الحصار على المدينة من مختلف جهاتها ووقع تبادل للرمي بالنبال مع المغول، وبعدها تمكن المغول من هدم جزء من البرج العجمي للمدينة؛ ثم تسلقوا من خلاله البرج وقتلوا حامية الخليفة، وسيطر المغول على الأسوار الشرقية وهدموا أجزاء كبيرة من الحصن الذي يحيط بالمدينة.

– وفي يوم الأحد 5صفر656هـ اضطر الخليفة المستعصم وأولاده للخروج ومعهم700من القضاة والفقهاء ورجال الدولة والأعيان للقاء هولاكو؛ فأوقفوا وسُمح لسبعة عشر رجل فقط بمصاحبة الخليفة؛

وأمر هولاكو الخليفة أن يطلب من سكان بغداد الخروج منها دون أسلحة ليتم إحصائهم، فلما استجابوا له غدر بهم المغول وقتلوهم ووضع الخليفة وأولاده تحت الحراسة في معسكر خاص للنظر في أمرهم .

– على إثر ذلك دخل هولاكو قصر الخليفة واستولى على كنوزه وأملاكه ثم أمر بقتله وأبنائه واستباح المغول بغداد أربعين يوما؛ وأبادوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء ووالأطفال والشيوخ؛ فكانوا يذبحون ويسبون من يختارونه ما جعل الكثير من الناس يلجئون للاختباء في الآبار وتحت المجاري المائية

– وقداختلف تقديرات المؤرخين في إحصاء عدد من قتلوا في بغداد على يد المغول فمنهم من قدرها بحوالي90ألف أو200ألف قتيل، وإن كان العدد غير مضبوط فهو ينم عن حجم الخسائر البشرية؛كما أعمل المغول قتلا في العباسيين فقضوا على أغلبهم وبذلك أعلن عن نهاية دولة خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بني أمية وكانت مدة خلافتهم525سنة.

4/ نتائج الغزو المغولي على البلاد الإسلامية:

– الدمار االبشري والمادي والثقافي في المدن والاقتصاد فقد دمر المغول مراكز العلم والثقافة، وأحرقوا معظم المكتبات المؤسسات التعليمية والفكرية، كما أضرم الماغول النار في بيت الحكمة ما أدى إلى تعطيل حركة تطور المجتمعات الإسلامية فكريا لعهود من الزمن؛ فضلا عن تناقص عدد السكان

بسبب المجازر الكثيرة ماتسبب في انهيار ديموغرافي واقتصادي كانهيار الزراعة وتراجع القطاع الصناعي والمهني.

-هجرة السكان وبخاصة المفكرين من العلماء ممن لم يلقوا حتفهم بحثا عن مناطق أخرى أكثر أمنا كمنطقة الأناضول، وفي نهاية الخلافة العباسية وسقوط بقاياها تجلت الدولة الأيوبية ودولة المماليك على الساحة كقائدة للأمة الإسلامية.

المـــــــــــراجع:

-العودة سليمان بن حمد، كيف دخل التتر بلاد المسلمين(الأدوار الخفية في سقوط الخلافة العباسية)،ط3، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،2001.

- الندوي أبو الحسن، غارة التتار على العالم الإسلامي، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1979.

-الصلابي محمد علي، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2009.

-كريبي خالد، الغزو المغولي في كتابات المؤرخين المسلمين"كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير أنموذجا"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد12، 2017،ص،ص146-158.